

## ليس بالاضطهاد يخاطب الأكراد

محمد الحسناوي

لا يكاد ينقضي شهر حتي نسمع بوفاة مواطن سوري كردي تحت التعذيب في سجون الرأي أو في أداء الخدمة الإلزامية في الجيش، حتي تعودنا علي سماع هذه الأنباء مثل تعودنا علي سماع أنباء الضحايا اليومية البريئة في الأرض المحتلة فلسطين أو في العراق، ومع ذلك في العراق وفي فلسطين يوجد حرب عدوانية بل حروب وأعداء أجانب، ولكن ماذا في سورية؟

في شهر نيسان من عام 1967م وفي أثناء اعتقالنا في سجن المخابرات العسكرية في مدينة حلب بسبب فتنة إبراهيم خلاص ضد الأديان السماوية، والتطاول علي اسم الله تعالى، والإضراب العام الذي قمع بقوة الجيش، وكسر أفعال المحلات العامة، ومصادرة المغلق منها.. صادفنا بعض المواطنين الأكراد المعتقلين قبلنا بسنوات، عن طريق تكليف أحدهم بالحلقة للسجناء الجدد مثلنا. همس الحلاق: أنا فلان الكردي، معتقل منذ كذا سنوات. من أنت؟ ولماذا اعتقلتم أنتم؟ مرحباً بكم؟ في البداية لم نستجب خوفاً من أن يكون الحلاق مخبراً مزدوجاً، لكن علمنا فيما بعد بقصة اعتقالهم، والسجين إلي السجين نسيب. وعلمنا أن نظام الخوف العام يوقع بين المواطنين، ويجعلهم يتخندقون حذراً أو شكاً أو ترصباً. ppp

إن الفتنة بدأت من سياسة التتريك ويهود الدونمة والقومية الطورانية، واقتباس المفهوم القومي علي الطراز الأوروبي، وإحلاله محل الرابطة الإسلامية، ثم الغلو في التعصب للقوم لا للمبادئ والأفكار والمعتقدات التي تصنع الأمم والحضارات، وإن القول بالقومية العربية، يعني القول بالقومية الكردية، والقول بأية قومية يعني شعباً وأرضاً ودولة مستقلة، ويعني انفصلاً جديداً في جسد الأمة من معاهدة جالديران إلي معاهدة سايكس بيكو وهلم جرّاً. لقد فرض المنطق القومي وفي صورته العنصرية المتخلفة، واحتاج الأمر إلي سياسات جديدة مبتكرة مضمينة، للتعاون أو التعاضد أو الجيرة بين أقوام لا بين إخوة، وبوسعك أن تقرأ هذه المعاناة الصعبة في كتاب المقدم منذر الموصللي المتشعب بالفكر القومي البعثي، والتحليل الاقتصادي الماركسي تحت عنوان (عرب وأكراد)، يحاول فيه المستحيل لتحنين قلب الأكراد علي العرب وبالعكس. ويعترف بأنه ضابط أمن سابق عمل في الجزيرة السورية وفي منطقة عفرين، التي يكثر فيها الإخوة الأكراد!! يقول: (تبدأ قصتي مع الأكراد من خلال مواجهتنا للنشاط الكردي في شمال شرق سورية العربية بمرحلة سابقة. وهو نشاط بدا فيما بعد أنه كان عابراً محدوداً لم يترك وراءه أي أثر، وكان نتيجة هلوسات لا تملك رؤي صحيحة ولا إي فهم لطبيعة الأوضاع الديموغرافية وحقيقة تشكلها في الشمال السوري. وكان من جراء ذلك أن ردود الفعل كانت كبيرة نجمت عنها إجراءات قمعية كان لا بد منها..) ومن المفارقات أن أساطين التعصب القومي الذين أوقدوا نار الخلافات، يزعمون أنهم يعملون علي إطفائها، فيقول ضابط الأمن القومي الموصللي في مقدمته: (لذلك يأتي هذا الكتاب بمثابة مساهمة جادة في عملية إخماد ذلك الحريق). وكيف ينطفيء الحريق وفي كل شهر نسمع بمصرع مواطن كردي أو أكثر تحت التعذيب أو في الخدمة الإلزامية؟ وإذا كانت الوعود تطلق بالجملة، ولا يتحقق منها هبأة أو ذرة واحدة؟ ما معني أن تتحول مباراة لكرة القدم في مدينة القامشلي في شهر آذار الماضي إلي مواجهة دامية، يمتد لهيبها إلي عدد من المحافظات سورية، من الجزيرة إلي حلب وإلي العاصمة دمشق، فتزهق خمسا وأربعين روحاً بشرية بريئة، بعضها أطفال، ومئات المعتقلين مازال بعضهم يعرض علي المحكمة العسكرية، ورئيس الجمهورية يعترف صراحة بأن لا عامل خارجياً في المشكلة تلك؟ بل يزور المنطقة المتضررة ويعد بالنظر في المظالم، لاسيما إعادة الجنسية للمحرومين منها، وفي تصريح آخر يعترف بالقومية الكردية الشقيقة، ولكن ذلك كله ظل حتي الآن، كما قيل: حبراً علي ورق أو ذهب مع الريح!! والسؤال: من أوقد النار أصلاً، ومن يستمر في صب الزيت عليها بسياساته العنصرية واستبداده، ولماذا يزداد الاشتعال منذ خمسين عاماً حتي يومنا هذا؟

المواطن الكردي بشر له روح وكرامة وحقوق ككل المواطنين، بل إن المناطق الحدودية محرومة من البنى التحتية، مضافاً إليها سياسات هادفة للتهميش والتجهيل والتغييب وحتى الإبادة صدق أو لا تصدق، ثم يقال لك: هناك مؤامرة خارجية! إن الذين يشتهر بتأمرهم هم الذين يقتلون المواطنين الأبرياء في السجون تحت التعذيب أو في أدائهم الخدمة الإلزامية. هم الذين يدقون أسافين العداوة والبغضاء والشحناء بلا أدنى مسوغ، إنهم يبحثون عن الأصدقاء والحلفاء الأوروبيين والهنود والأمريكان، ويستعدون مواطنيهم علي الشعب والأمة والوطن! نفذ ما عليك من واجبات وأعط الناس حقوقهم بسواسية وقسطاس ثم استفسر عن العداوة أو عن المحبة.

المجدد الكردي السوري محمد شيخ محمد اغتيل بإطلاق عبارات نارية عليه بينما كان يؤدي خدمته الإلزامية في وحدته العسكرية بمنطقة القطيفة، كما أفادت اللجنة السورية لحقوق الإنسان، كما سبق أن اغتيل رقيب كردي آخر في الجيش السوري قبل شهر ولم يتخذ تحقيق ولا ما يحزنون.

أما المواطن أحمد حسين حسين من سكان قرية الصالحية في محافظة الحسكة، وهو أب لأربعة أطفال، اعتقل بتاريخ 2004/7/13م، فقد توفي تحت التعذيب عند المخابرات العسكرية لتعاطفه مع القضية الكردية، ومع تنظيم عبد الله أوجلان الذي كان حليفاً للسلطة سابقاً. (مركز الشرق العربي 2004/8/5م). وفي الشهر نفسه توفي معتقل كردي آخر تحت التعذيب. علي حين صدر حكم من محكمة أمن الدولة علي المواطن الكردي محمد علي عمر بالسجن سنتين ونصف السنة، بسبب مشاركته باعتصام سلمى للمطالبة بالجنسية السورية، وهناك أكثر من 180 من الذين اعتقلوا في أحداث شهر آذار ما زالوا رهن الاعتقال، وإن 17 منهم يعرضون علي محكمة أمن الدولة، وإن 35 مرافقاً تعرضوا للتعذيب، بعضهم بالصدمات الكهربائية أو بنزع أظافر أصابع القدم. (القدس العربي 2004/11/3 و 8/27). إن شعباً أعطي البطل صلاح الدين الأيوبي الذي حرر فلسطين والقدس يوماً ما، وأنجب الزعماء أمثال أبي الفداء الأديب العالم ملك حماة الأيوبي وإبراهيم هنانو ويوسف العظمة ومحمد كرد علي.. إن هذا الشعب لا يستحق هذا الظلم، ولا يجازي علي وطنيته وإخلاصه بالعقوق والاضطهاد، وإذا زعم زاعم أو نعق غراب بباطل فلا أقل من اللجوء إلي القضاء العادل والدستور والقانون، وإلا فنحن نخرب أوطاننا بأيدينا، وننفذ فينا مآرب أعدائنا. يخطئ من يعامل هذا الشعب معاملة أقلية، ويخطئ أيضاً حين لا يمنعهم بحق المواطنة كالأقليات الطارئة والمواطنين الأرمن مثلاً، وهم ليسوا لاجئين ولا مواطنين من الدرجة الثانية. فكيف إذا كان يعمل علي استئصالهم؟! وليس صحيحاً أن البلوي العامة تساوي بين المواطن الكردي والعربي في الاضطهاد، لأن الفساد لا يقاس عليه.

كاتب سوري عضو رابطة أدباء الشام